مجالات وطرق إحياء الوقف العلمي في العصر الحاضر

محمد طاهر حكيم

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه وسلم ومن والاه. وبعد، فإن الوقف في الإسلام يحظى بأهمية بالغة، تنبع من أنه يعتبر من أهم ميادين البر وأغزر روافد الخير، وأفسحها مجالا، وأعظمها أجرا، وأبقاها أثرا، وأكثرها ذخرا، وأوسعها تأثيرا، وذلك لما يضطلع به من دور بارز في المجتمعات الإسلامية، ومن إسهامات بناءة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي... إلخ.

وهو من أفضل القرب التي تقرب الإنسان إلى الله زلفى، ومن أوجه البر التي قال الله تعالى فيها ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] ومن الأعمال الجارية التي جاءت في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[2].

وهو من أسمى الأنظمة الاقتصادية التي ساهمت في بناء المجتمعات الإسلامية على مر العصور، ولبنة أساسية في بناء الحضارة، ومن أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي، وأنجح وسيلة لاستمرار المؤسسات العلمية والثقافية في أداء وظيفتها ورسالتها، والسبب الرئيس لأغلب الإنجازات العلمية والحضارية المختلفة في تاريخ البشرية.

وكان له دور كبير ومهم في تعزيز التقدم والازدهار في جميع الجوانب العلمية والثقافية والاجتماعية والصحية والإغاثية وغيرها، حيث شارك بنصيب وافر في بناء نهضة الأمة وتقدمها ورقيها،

١- سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

٢- رواه مسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، في الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، رقم: ١٦٣١.

وكانت موارده من الكثرة بحيث تغطى ما قد يخصص في العصر الحاضر لعدة وزارات كوزارة الشئون الاجتماعية والتربية والتعليم، بل قد يمتد أثرها إلى بعض ما تقوم به الآن وزارة الدفاع وذلك عن طريق الوقف على الرباط والثغور والمجاهدين.

وأما دوره في مجال العلم وطرق إحيائه ونشره والترغيب في تعلمه وتعليمه وإرساء دعائم الحركة العلمية والثقافية في أنحاء العالم الإسلامي ورعايته لها من مرحلة الطفولة حتى مراحل الدراسات العليا المتخصصة وإنشاء الجامعات والمدارس والمعاهد والمراكز الإسلامية المرموقة وبناء المكتبات وتجهيزها وتوفير وتأمين اللوازمات الضرورية للمعلمين والمتعلمين فقد كان دوره في كل هذا مشهودا. وما ذاك إلا لأن الإسلام دين العلم، وحسبك في هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم حصر مهمة بعثته ونبوته ورسالته في التعليم فقال: "وإنما بعثت معلما"(٣).

وقد تتابعت الأحاديث وتكاثرت في فضل العلم والحث على تعلمه والحض على تعليمه، والتنويه بشأن أهله، ففي **صحيح** البخاري مثلا نجد كتاب العلم قد اشتمل على مائة حديث وحديثين ـ منها ستة عشر حديثا مكررا ـ كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر ـ وفي باب **الترغيب والترهيب** للحافظ المنذري يوجد ١٤٠ حديثا في العلم وشأنه(٤).

بل إنه صلى الله عليه وسلم قد هدد بتعجيل العقوبة على من فرّط في العلم، فقال: "... والله ليعلمنّ قوم جيرانهم ويفقهونهم ويفطنونهم، ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتفطنون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا..."(٥).

قال الشيخ العلامة مصطفى الزرقاء في كتابه **المدخل الفقهي العام** تعليقا على هذا الحديث ما يلي: "إن هذا الموقف العظيم في اعتبار التقصير في التعليم والتعلم جريمة اجتماعية يستحق مرتكبها العقوبة الدنيوية، موقف لم يرو التاريخ له مثيلا في تقديس العلم قبل النبي صلى الله عليه وسلم ولا بعده... فإذا قصر العالم في واجب التعليم، أو قصر الجاهل في تعلم القدر الواجب شرعا من العلم استحقا عقوبة التعزير على التقصير..." (٦).

٣- رواه ابن ماجه في المقدمة برقم: ٢٢٩، **سنن ابن ماجة**، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.

٤- انظر: يوسف القرضاوي، **الرسول والعلم**، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٦ – ٧.

٥- رواه الطبراني في **الكبير** كما في **مجمع الزوائد** للهيثمي، مطبعة القدس، ١٣٥٢هـ، ج ١، ص ١٦٤.

٦- مصطفى الزرقاء، **المدخل الفقهي العام**، ج ٢، ص ٦٤١، الفقرة ٣٣٥، نقلا عن: عبد الفتاح أبو غدة، **الرسول المعلم**، طبعة حلب، سوريا، ص ١٨.

والحقيقة أن الحياة بغير علم لا تستحق البقاء، وأن ضياعه أو إضاعته والتقصير فيه نذير بخراب الدنيا وقرب القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل". وفي رواية أخرى: "أن يقل العلم ويظهر الجهل"[٧] وإنما يرفع العلم ويذهب بذهاب أهله.

والحقيقة أن الكلام في العلم وفضله، والترغيب في تعلمه وتعليمه، والتحذير من كتمانه، والتنويه بشأن أهله، حديث ذو شجون، لا يمكن استيفاؤه وإعطاؤه حقه في هذه العجالة، لهذا فإني أعود إلى موضوع بحثي، فأقول: إذا كان الوقف قد لعب دورا رياديا في النهوض والازدهار العلمي والتقدم المعرفي في الزمن الغابر، فإنه يمكن أن يؤدي هذا الدور في العصر الحاضر عبر مجالاته المتعددة بعد أن تعددت مرافقه ومؤسساته.

ومن هنا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على دور الوقف والتعريف بمجالاته الواسعة، وتطويره وحسن استغلاله واستنمائه وتكثير موارده، وتعميم فوائده، وتبادل الخبرات، وتناول المعلومات بين القائمين على المؤسسات الوقفية، والبحث عن سبل النهوض به، حتى يعود إلى سابق عهده، ـ ولا سيما في الجانب العلمي ـ وجعلته بعنوان: "مجالات وطرق إحياء الوقف العلمي في العصر الحاضر" وقد جعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وتوصيات.

المقدمة في التعريف بالموضوع وضرورة البحث فيه.

المبحث الأول: في تعريف الوقف ومشروعيته ومقاصده وغاياته.

المبحث الثاني: نبذة سريعة عن مجالات الوقف العلمي في الزمن الغابر.

المبحث الثالث: مجالات وطرق إحياء الوقف العلمي في العصر الحاضر.

ثم أهم معالم البحث وتوصياته.

وقد سلكت في كتابة هذا البحث المنهج العلمي المتبع حسب المستطاع في كتابة البحوث، فخرّجت الأحاديث، ورتبت المعلومات في لغة ميسرة وعبارة واضحة وأسلوب رصين لتعم الفائدة منه بإذن الله تعالى. والله سبحانه أسأل التوفيق والسداد، والقبول والرضا، إنه تعالى جواد كريم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

٧- رواهما أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **الصحيح**، في العلم برقم: ٨٠، ٨١، مع شرحه: **فتح الباري** لابن حجر العسقلاني، الطبعة السلفية، القاهرة، نشروتوزيع: دار الإفتاء السعودية.

المبحث الأول: في تعريف الوقف ومشروعيته ومقاصده:

تعريف الوقف:

الوقف لغة: الحبس والمنع، يقال: وقف الشيء وأحبسه وسبّله ويقال: وقفت الدابة وقفا أي حبستها في سبيل الله تعالى. والوقف والتحبيس والتسبيل بمعنى[٨].

وشرعا: اختلفت عبارات الفقهاء في تعريفهم للوقف شرعا وذلك لاختلافهم في الأوجه والاعتبارات التي نظروا إليها منها، فجاءت الإضافات والتقييدات للتعريف من أجل ذلك وباعتبار من يصح منه وما يصح فيه، وباعتبار لزومه وعدم لزومه، وباعتبار تأبيده وتأقيته... إلخ.

وقد عرّفه الشافعية والحنابلة والصاحبان من الحنفية وبرأيهما يفتى "بأنه حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره، على مصرف مباح موجود أو بصرف ريعه على جهة بر وخير تقربا إلى الله تعالى"[٩].

وعرّفه المالكية: بأنه جعل المالك منفعة مملوكة ولو بأجرة لمستحق بصيغة كوقفت وسبّلت مدة ما يراه المحبّس أي أن المالك يحبس العين عن أي تصرف تمليكي ويتبرع بريعها لجهة خيرية تبرعا لازما مع بقاء العين على ملك الواقف مدة معينة من الزمان. فالوقف عندهم لا يقطع حق الملكية في العين الموقوفة. وإنما يقطع حق التصرف فيها[١٠].

ومن التعريفات الجامعة المانعة وبأقصر عبارة تعريف الإمام ابن قدامة حيث عرّفه بقوله: "هو تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"[١١]. وهذا التعريف مقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر

٨- انظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٣، ص ٢٩٦، مادة: "وقف" ومحمد مرتضى الزبيدي، **تاج العروس**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ١٢، ص ٥٢٨.

٩- انظر: شيخ محمد الشربيني الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٧ه، ج ٢، ص ٣٧٦ والعلامة ابن منصور البهوتي، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٤هـ، ج ٤، ص٢٦٧ ومحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، **فتح القدير**، المكتبة التجارية بمصر، ج ٥، ص ٣٧- ٤٠، ٦٢ وانظر أيضًا الإمام يحيى بن شرف النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، دار النفائس، بيروت، قسم اللغات، ص ٥١٠.

١٠- انظر: العلامة أبو البركات الدردير، **الشرح الصغير على أقرب المسالك**، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢هـ، ج ٤، ص٩٧- ٩٨ والشيخ محمد الشيباني، **تبيين المسالك لتدريب السالك إلى أقرب المسالك**، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ، ج ٤، ص ٢٥٠.

١١- ابن قدامة المقدسي، **المغني**، بتحقيق: التركي، ج ٨، ص ١٨٤.

ابن الخطاب رضي الله عنه ـ لما أراد أن يتصدق بمال أصابه من خيبر ـ فقال له: "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها غير أنه لا يباع أصلها ولا يُبتاع ولا يوهب ولا يورث"(١٢). وفي رواية: "احبس أصلها وسبل ثمرتها"(١٣).

قال الشيخ محمد أبو زهرة(١٤): "أجمع تعريف لمعاني الوقف عند الذين أجازوه أنه حبس العين وتسبيل ثمرتها، أو حبس عين للتصدق بمنفعتها"، أو كما قال ابن حجر العسقلاني: "ورود صيغة تقطع تصرف الواقف في رقبة الموقوف الذي يدوم الانتفاع به، وتثبت صرف منفعته في جهة خير"(١٥).

مشروعية الوقف وفضله:

الوقف مشروع ومندوب إليه وهو من أعظم الطاعات وأفضل القربات التي حث الشارع على فعلها وندب للقيام بها تقربا إلى الله تعالى بالإنفاق في وجوه الخير والبر ومواساة الفقراء وسد حاجات ذوى الحاجات والتعاطف والتراحم والاهتمام بما ينفعهم ويفيدهم. قال الله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١٦). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾(١٧). وقال جل وعلا: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾(١٨). وقوله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١٩). إلى غير ذلك من الآيات التي تحث على الإنفاق في وجوه الخير والبر، ويدخل تحتها الوقف باعتباره إنفاقا للمال في جهات البر والخير.

١٢- أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، رقم: ٢٧٣٧ ومسلم في **الصحيح**، الوصية، باب الوقف، رقم: ١٦٣٢ وأبو داود في **سننه**، الوصايا، طبع دار الحديث، ١٣٨٨هـ، رقم: ٢٨٧٨، والنسائي في **سننه**، الأحباس، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ، رقم: ٣٥٩٩ وابن ماجه في الصدقات، رقم: ٢٣٩٦ و**مسند أحمد بن حنبل**، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ج ٨، ص ٢١٧.

١٣- رواه ابن ماجه في الصدقات، رقم: ٢٣٩٧ وأحمد، ج ١٠، ص ١٦٦ والبيهقي في **السنن الكبري**، طبع الهند، ١٣٥٥هـ، ج ٦، ص ١٦٢.

١٤- الشيخ محمد أبو زهرة، **محاضرات في الوقف**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٤٤- ٤٥.

١٥- الحافظ ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الطبعة السلفية، القاهرة، توزيع: دار الإفتاء السعودية، ج٥، ص ٤٠٣.

١٦- سورة الحج، الآية: ٧٧.

١٧- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

١٨- سورة آل عمران، الآية: ١١٥.

١٩- سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

وأما السنة الشريفة فقد حثت على فعله ورغّبت فيه في أحاديث كثيرة، منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"(٢٠).

٢- وعنه رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: "من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإنّ شِبَعَه وَرِيَّهُ، وَرَوْثَهُ وبولَه في ميزانِه يوم القيامة"(٢١).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علّمه ونشره وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورّثه أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته"(٢٢).

٤- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال: "من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي"(٢٣).

٥- وعن أنس رضي الله عنه قال: "كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء. وكانت مستقلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس فلما أنزلت هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢٤) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بئر حاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح،

٢٠- رواه مسلم في الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: ١٦٣١.

٢١- رواه البخاري في الجهاد، باب من احتبس فرسا في سبيل الله، رقم: ٢٨٥٣. والإمام أحمد، **المسند**، ج ١٤، ص ٤٥٤ والنسائي في الخيل، باب علف الخيل، رقم: ٣٥٨٢ وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ج ٢، ص ٩٢، وأحمد بن الحسين البيهقي، **السنن الكبرى**، طبع الهند، ١٣٥٥هـ، ج ١٠، ص ١٦ وأبو محمد البغوي، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ، رقم: ٢٦٤٨.

٢٢- رواه ابن ماجة في المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير (٢٤٢) وحسنه ابن المنذر.

٢٣- أخرجه الترمذي في **سننه**، المناقب، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٥هـ، رقم: ٣٧٠٣ والنسائي في الأحباس، باب وقف المساجد، رقم: ٣٦٠٧، ٣٦٠٨، وأحمد، ج ١، ص ٥٥٩ وحسنه الترمذي.

٢٤- سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

وقد سمعت ما قلت. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه"(٢٥).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدراعه واعتده في سبيل الله"(٢٦). فقوله: "احتبس أدراعه" أي جعلها وقفا على المجاهدين في سبيل الله.

ومما يدل على عظم منزلة الوقف وأهميته أنه صلى الله عليه وسلم فعله وطبقه كما في حديث عمرو بن الحارث أنه قال: "ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا تركها صدقة"(٢٧).

وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم به صلى الله عليه وسلم فوقفوا أموالهم في سبيل الله تعالى، فقد تصدق أبو بكر بداره وعمر بربعه عند المروة وعثمان بروما وعلي بأرضه بينبع، وتصدق الزبير بداره بمكة وداره بمصر وأمواله بالمدينة، وتصدق سعد بداره بالمدينة، وداره بمصر وحكيم بن جزام بداره بمكة والمدينة.

وقال جابر: "لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف، وهذا إجماع منهم"(٢٨). قال القرطبي رحمه الله: "إن المسألة إجماع من الصحابة وذلك أن أبابكر وعمر وعثمان وعليا وعائشة وفاطمة وعمرو بن العاص وابن الزبير وجابرا كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقافهم بمكة والمدينة معروفة مشهورة"(٢٩).

٢٥- رواه البخاري في الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم: ١٤٦١ ومسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، رقم: ٩٩٨.

٢٦- رواه البخاري في الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ برقم: ١٤٦٨ واللفظ له، ومسلم في الزكاة، باب تقديم الزكاة ومنعها برقم: ٩٨٣.

٢٧- رواه البخاري في الوصايا، باب (١) برقم: ٢٧٣٩.

٢٨- انظر: ابن قدامة، **المغني**، ج ٨، ص ١٨٥- ١٨٦، وانظر: آثار الصحابة مخرجة في **المستدرك**، ج ٤، ص ٢٠٠ و**سنن الدار قطني**، طبع دار المحاسن، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ج ٤، ص ٢٠٠ و**سنن البيهقي**، ج ٦، ص ١٦٠.

٢٩- الإمام عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦هـ ج ٦، ص ٣٣٩.

مقاصد الوقف وغاياته:

جاء تشريع الوقف وإنشاء نظامه من وقت مبكر، منذ الخطوات الأولى للإسلام كأحد الأنظمة ذات الأثر البالغ على الحياة الاجتماعية، فقد قامت الحضارة الإسلامية على أكتاف المجتمع المدني، فهو الذي بناها، وهو الذي أشرف على رعايتها منذ أن ظهرت نبتة في صحراء الحياة، إلى أن استوت على سوقها وارفة الظلال شامخة البناء، ثرية العطاء.

ومنذ هذه اللحظات ارتبطت مقاصد الوقف وأهدافه بمقاصد الشريعة الإسلامية وقام الوقف بأهم الأدوار في تحقيق هذه المقاصد، ومن ثم فلسنا بقادرين على الفصل بين مقاصد الشريعة ومقاصد الوقف إلا بمقدار ما نستطيع فصل الشيء عن الوسيلة التي بها يتحقق، وعليها يعتمد، وبها يسير.

ومن هنا فإننا لا نأتي بجديد إذا قلنا، إن مقاصد الوقف ترتبط بالمقاصد العامة للشريعة، وإن الوقف في حقيقته إنما يهدف إلى الإسهام في تحقيق مقاصد الشريعة، والتي يشاركه في تحقيقها الكثير من النظم الإسلامية الأخرى، وإذا كان المقصد العام للشريعة هو إقامة الحياة الطيبة على ظهر الأرض، فإن مقاصد الوقف تتعدد وتتمدد لتشمل الدائرة الاجتماعية بكل جنباتها، وتنتشر على أوسع رقعة من النسيج الاجتماعي للأمة ومرافقها العامة بتكويناتها المختلفة.

إن أغراض الوقف في الإسلام لم تقف عند الجوانب اللصيقة بالإنسان وإنما تعدت ذلك إلى البيئة التي يعيش فيها، وإلى الحيوان الذي يشارك الإنسان في هذه البيئة[٣٠] وإلى أشياء أخرى كثيرة، ولعلنا نوجز أهم مقاصد الوقف وأهدافه وغاياته فيما يأتي:

١- إيجاد مورد دائم ومتجدد ومستمر لتحقيق غرض مباح ومقصد نبيل من أجل مصلحة معينة قال شاه ولي الله الدهلوي: "وكان أهل الجاهلية لا يعرفونه فاستنبطه النبي صلى الله عليه وسلم لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرا ثم يفنى فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجيء قوم آخرون من الفقراء فيبقون محرومين فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبسا للفقراء وأبناء السبيل تصرف عليهم منافعه ويبقى أصله"[٣١].

٣٠- انظر: يوسف إبراهيم سالم، "ملكية أعيان الوقف ودور الأجيال المقبلة في تحقيق مقاصده" المنشور في أبحاث: المؤتمر الثالث للأوقاف، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة في ١٨- ٢٠/ ٤/ ١٤٣٠هـ.

٣١- الإمام شاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، طبع الهند، ج ٢، ص ١١٦.

٢- بر الأحباب في الدنيا وتحصيل الثواب في الآخرة[٣٢].

٣- تحقيق مبدأ التكافل والتعاون والتكامل بين الأمة، وإيجاد التوازن في المجتمع الإسلامي، وذلك لوجود التفاوت والاختلاف في الصفات والقدرات والطاقات، وما ينتج عن ذلك من وجود المنتج والعاطل، والذكي والغبي، والقادر والعاجز مما يتطلب ملاحظة بعضهم لبعض، وأخذ بعضهم بأيدي بعض، ومن طرق ذلك الإنفاق، وأفضله ما كان منتظما، مضمون البقاء يقوم على أساس، وينشأ من أجل البر والخير، وهذا ما يؤدي إليه الوقف الذي يحفظ لكثير من الجهات العامة حياتها، ويساعد فئات من المجتمع على الاستمرار، ويتحقق به ضمان العيش الكريم حين انصراف الناس أو طغيان الخطر، أو حالة الطوارئ[٣٣].

٤- تحقيق ما يهدف إليه الإنسان من الدوافع الذاتية بناء على ما جبل عليه. كالرغبة في الثواب أو التكفير عن الخطأ أو الشعور بالمسئولية أو علاقة الرحم والقرابة أو بناء على ما يعرض له كعدم وجود الوارث أو الاغتراب أو الرغبة في الحفاظ على ما يملك والإبقاء عليه في ذريته فيكون الوقف محققا لما يطمح إليه[٣٤].

٥- إنشاء المؤسسات التعليمية، والثقافية من: بناء المدارس والجامعات ودور تحفيظ القرآن الكريم.

٦- إنشاء المؤسسات الاجتماعية من: بناء دور إيواء للأيتام والعجزة وأبناء السبيل وتقديم الرعاية الشاملة لهم معاشا وتعليما وصحة.

٧- إنشاء المؤسسات الصحية من: بناء المستشفيات وعلاج المرضى وإطعامهم وتأهيلهم.

٨- تحقيق مصلحة الأمة برد الكيد عنها وتماسك بنائها واستمرار فاعليتها المعرفية والروحية والاجتماعية، أو بعبارة أخرى: إنماء الجانب الصالح ودفع العوامل السيئة مثل:

- استزادة المسلم من الخير بعد وفاته.
- إقامة دور العبادة والمحافظة عليها والإنفاق عليها ورعايتها.
- مساعدة الضعفاء والمحتاجين واليتامى والأرامل والمعاقين وأصحاب العاهات والمنكوبين

٣٢- انظر: وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، دمشق، ط ٤، ١٤١٨هـ،ج ١٠، ص ٧٦٠٣.

٣٣- محمد عبيد الكبيسي، **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٧هـ، ج ١، ص ١٣٧، ١٣٨ نقلًا عن: **الوقف مكانته وأهميته الحضارية** لعبد الله العويسي، ص ١٢٨.

٣٤- انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٩.

والمصابين المفجوعين والمكروبين المجهودين في تخفيف ويلاتهم وحسن مواساتهم وانتشالهم من هوة الفقر والعوز.

- صلة الأرحام والأحباب.
- دعم الجهاد والمحافظة على قوة الدولة المسلمة.
- صيانة الأعيان الموقوفة من العبث[٣٥].

إلى غير ذلك من الغايات النبيلة والأهداف الخيرية العلمية والاجتماعية الشاملة الدالة على كمال التشريع الإسلامي وقدرته على استيعاب التطور الحضاري والاستجابة لتجدد حاجات الإنسان، والإسهام في تكافل المجتمع وتكامله وترابطه.

المبحث الثاني: نبذة سريعة عن مجالات الوقف العلمي في الزمن الغابر:

قبل الحديث عن مجالات الوقف العلمي في الزمن الغابر، لا بد من إطلالة سريعة على مجالات الوقف المختلفة التي كان لها دور حضاري مهم، والتي لم تقتصر على الاهتمام بالأغراض التقليدية كرعاية دور العبادة من مساجد وزوايا فحسب، بل اتسعت مجالاته حيث شملت جميع الجوانب العلمية والثقافية والاجتماعية والصحية والإغاثية وغيرها، وشاركت بنصيب وافر في بناء نهضة الأمة وتقدمها وازدهارها.

وكانت موارده من الكثرة بحيث تغطي ما قد يخصص في العصر الحاضر لعدة وزارات كوزارة الشئون الاجتماعية والتربية والتعليم، بل يمتد أثرها إلى بعض ما تقوم به الآن وزارة الدفاع، وذلك بالوقف على الرباط والثغور والمجاهدين[٣٦].

ومن مجالات الوقف الكثيرة:

الوقف في مجال التعليم بإنشاء المدارس والجامعات، والوقف على المكتبات العامة وإيقاف الكتب لها، والوقف على بناء المراكز الصحية وتجهيزها، والوقف على دور الرعاية الاجتماعية وحضانات للقطاء والمنبوذين والأطفال غير الشرعين والوقف لمساعدة الشباب على الزواج وتكوين الأسرة وحياة عائلية كريمة، إلى جانب الوقف على سقايات وحفر الآبار، وإجراء الماء في الطرقات، وبناء الطرقات والجسور والقناطر والأنهار، ودعم المشروعات السكنية، وتوفير الإسكان لغير المستطيعين، ودعم السلع

٣٥- انظر: إبراهيم الغصن، **التصرف في الوقف**، ص ٨٥- ٨٧ نقلًا من: **الوقف مكانته وأهميته الحضارية** لعبد الله العويسي، ص ١٢٩.

٣٦- انظر موقع: www.alriyadh.com/2005/10/18.article101679.html

الغذائية لتخفيف الأعباء المالية عن محدودي الدخل، ووقف الأرض على المقابر لدفن المسلمين بها إلى آخر ما هنالك من المجالات الإنسانية المختلفة.

ومن أطرف أنواع الوقف التي حكاها ابن بطوطة في دمشق:

وقف للنساء النافرات عن أزواجهن، ووقف لختان الأطفال اليتامى، وقف على تجهيز البنات إلى أزواجهن، وهن اللواتي لا قدرة لأهلن على تجهيزهن، ووقف لفكاك الأسرى، ووقف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم، ووقف للقرض المالي بدون فائدة، ووقف لإيناس المرضى[٣٧] إلى غير ذلك كثير. فقد تفنن المسلمون في الأغراض الوقفية حتى لم تبق مصلحة إلا وقفوا لها أوقافا.

وإذا كان الغرب اليوم يشهد انتشار جمعيات الرفق بالحيوان، فإن المسلمين قد سبقوهم إلى هذا الميدان حين عينوا أوقافا لعلاج الحيوانات وسقايتها والعناية بها دون طلب لصيت أو جاه[٣٨].

أما مجالات الوقف في العلم والمعرفة في الزمن الغابر:

فإن الوقف يعد من أهم المؤسسات على مدار التاريخ الإسلامي العريق التي كان لها الدور الرائد والفعّال والمتميز في إرساء دعائم الحركة العلمية والثقافية والمعرفية في أنحاء العالم الإسلامي وأسهم إسهامًا واضحًا في التعزيز المعرفي والازدهار العلمي سواء داخل المساجد أو المدارس أو المكتبات وغيرها من المؤسسات الخيرية حيث رعت الأموال الوقفية عملية التعليم من مرحلة الطفولة حتى مراحل الدراسة العليا المتخصصة في وقت لم تكن هناك وزارة للتعليم أو مخصصات في ميزانية الدولة له بل كان الوقف هو بمثابة الحاضن الأكبر والمورد الرئيس لأغلب الإنجازات العلمية والحضارية.

ويكفي برهانا على كثرة أوقاف المدارس والمساجد أن الإمام النووي لم يكن يأكل من فواكه دمشق طيلة حياته لأن أكثر غوطتها وبساتينها أوقاف[٣٩].

وإذا كانت دمشق قد اشتهرت بكثرة أوقافها فإن الأمر لم يكن مختلفًا في غيرها من الحواضر الإسلامية كالقاهرة والبصرة والكوفة وبغداد وقرطبة والقيروان وغيرها، فكلها ازدهر فيها العلم والمعرفة بسبب الأموال الموقوفة التي خصصت لذلك.

٣٧- **رحلة ابن بطوطة**، طبع بولاق، مصر، ١٩٣٤م، ج ١، ص ٨٣، وانظر: محمد بن عبد الله، **الوقف في الفكر الإسلامي**، ج ١، ص ١٣٥، ١٤٠.

٣٨- انظر: **مجلة الفيصل**، العدد ٢١٧ إطلالة زيد عبد المحسن، ص٤.

٣٩- محمد بن عثمان الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ١٤٧٢.

ويتحدث ابن خلدون عما شاهده في القاهرة من التطور العلمي والحضاري فيذكر أن هذا التطور مرده إلى الأموال الموقوفة من أراضي زراعية ومبان وبيوت وحوانيت، وأن هذه الأموال التي حبست على المؤسسات التعليمية في القاهرة أدت إلى أن يفد إلى هذه المدينة طلبة العلم وعلماء من مغرب العالم الإسلامي ومن مشرقه في سبيل الحصول على العلم المجاني وبذلك نما العلم وازدهر في مختلف الفروع والتخصصات(٤٠).

وفيما يلي توضيح لبعض الجوانب التي أسهم فيها الوقف:

١- **بناء المساجد وعمارتها:**

لم يزل الناس من قديم الزمان يتسابقون إلى بناء المساجد ابتغاء وجه الله تعالى وكانت المساجد لم تكن دور عبادة فحسب، بل كانت منارات علم وتعلم، ومشاعل نور وهداية، ومنابيع فكر وثقافة، ومراكز فقه وتفقيه، ومكان فتوى وقضاء، ودورًا للتربية والتزكية، ومدارسة العلم وتحفيظ القرآن الكريم وفيها تعرف فضائل الإسلام وآدابه وأحكامه، ويجد المسلم القدوة الحسنة، ويحاكي الصالحين الأبرار ويتعلم ضبط النفس والصبر على الشدائد، والتحلي بالأمانة والعفة، وتحمل المسئولية بعزم ورجولة ومنها تشع الثقافة الإسلامية الأصيلة، ويعزز التقدم المعرفي وينبعث الوعي الديني ويعرف الحلال والحرام(٤١).

وكانت للمساجد أوقاف تقوم بحاجات المسجد ورواده وطلاب العلم وما يحتاجون إليه من الطعام واللباس والحاجات الأساسية التي كانت تمدها أموال الوقف حيث كان المحسنون وأهل الخير والفضل قد وقفوا الأوقاف الكثيرة والأموال الوفيرة على أئمة المساجد وخطبائها ومؤذنيها ومعلميها ومتعلميها، وعلى القائمين برعايتها وصيانتها وإضاءتها... ويسروا للجميع أسباب السكن والمعيشة الهنية(٤٢).

وقد ذكروا أن كثيرا من أموال الوقف قد رصدت لبناء المساجد وترميمها وإصلاحها وشراء وتأمين ما يلزمها من سرج وقناديل وشموع وستور توضع على الأبواب والنوافذ لتيسر العبادات على

٤٠- انظر: **مقدمة ابن خلدون**، ج ١، ص ٨٨ نقلاً عن موقع: www.almoshaiqeh.islamlight.net

٤١- انظر: بحث حسن عبد الغني أبو غدة، "دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي"، المنشور ضمن بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٨-٢٠/ ٤/ ١٤٣٠هـ.

٤٢- انظر: الإمام ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، طبع عالم الكتب بالرياض، ١٤١٢هـ، ج ٣١، ص ٤٣ ومن مصطفى السباعي، **روائع حضارتنا**، طبع المكتب الإسلامي، ص ٩٥- ٩٧.

المصلين، وتمكن الأساتذة والطلاب من التعليم والتعلم والوعظ والإرشاد... إلخ[٤٣].

وكانت المساجد بهذه الإسهامات والخدمات مصدر علم ومعرفة، ومركز درس وتدريس ومنبع هداية وصلاح وإصلاح، يكفي للتدليل على ذلك المساجد العتيقة الكبرى في العالم كجامع الفسطاط (جامع عمرو بن العاص) والجامع الطولوني والجامع الأزهر في القاهرة وجامع القيروان وجامع زيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس والجامع الأموي بدمشق، وجامع قرطبة في الأندلس وقبل هذه المساجد المسجد الحرام بمكة المكرمة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء في المدينة المنورة والمسجد الأقصى كانت مراكز علم ودعوة وهداية. وتوعية وتثقيف ونشر العلم وتوزيعه وبثه بين الناس.

جاء في الحديث أن أبا هريرة رضي الله عنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال، يا أهل السوق، ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أباهريرة، قال، ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم هاهنا؟ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعا، ووقف أبوهريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أباهريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يقسم! فقال لهم: وما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا: بلى، رأينا قوما يصلون، وقوما يقرؤون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم[٤٤].

٢- الوقف على المدارس والكتاتيب:

لم تقتصر المخصصات الوقفية على بناء المساجد وعمارتها بل شملت كثير من الأوقاف المدارس والمعاهد، كما ألحقت بالمساجد كتاتيب تشبه المدارس الابتدائية تعلم القراءة والكتابة وكثر بناؤها. هذه الكتاتيب وكذلك المدارس في وقت مبكر في المدينة المنورة وفي جميع العواصم والمدن الإسلامية التي فتحها المسلمون، فما فتح المسلمون من بلد أو مدينة إلا بنوا فيها ـ إلى جانب المساجد ـ الكتاتيب والمدارس، ووجهوا الصبيان نحوها.

وكانت هذه الكتاتيب والمدارس من الكثرة، بحيث عدّ ابن حوقل ثلاثمائة كتّاب في مدينة واحدة من مدن جزيرة صقلية، وكان بعضها من الاتساع بحيث يضم المئات، بل الآلاف من الطلاب،

٤٣- انظر: **الوقف في العالم الإسلامي**، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٩٥م، ص ٧٩ **مجموع الفتاوى**، ١٣٧٠هـ، ص ٢١٢ **ومن روائع حضارتنا** ص٩٤ وما بعدها.

٤٤- رواه الطبراني في **الأوسط** بإسناد حسن ووافقه الهيثمي والألباني انظر: محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الترغيب والترهيب**، المكتب الإسلامي، ج ١، ص ١٤٤.

وذلك في القرن الثالث الهجري وما بعده[٤٥] ومما يروى أن أبا القاسم البلخي كان له كتّاب يتعلم فيه ثلاثة آلاف تلميذ وكان المكان فسيحا جدا بحيث أن أبا القاسم كان يحتاج إلى ركوب حمار له ليتردد بين طلابه، وليشرف على شئونهم[٤٦].

ولم يقتصر التعليم في هذه الكتاتيب والمدارس على الذكور فقط، بل شمل النساء أيضًا، يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم للشفاء بنت عبد الله العدوية القرشية وكانت من أوائل المهاجرات الفاضلات: "علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة"[٤٧].

وكانت معظم كتاتيب البنات ومدارسهن في البيوت الخاصة، أو في بيوت الحكام والعلماء والمحسنين الواسعة أو في قصور الميسورين من أهل الخير والفضل والنزاهة، وكان يقوم على تعليم هؤلاء البنات معلمات فاضلات[٤٨].

ويذكر التاريخ جماعة من أمراء المسلمين كانت لهم اليد الطولى في إنشاء هذه المدارس والمعاهد، منهم:

- الوزير نظام الملك، قوام الدين أبو علي الحسن بن علي الطوسي أسس المدارس النظامية، وقد انتشرت في كل من بغداد والبصرة والموصل وأصبهان وطبرستان ومرو ونيسابور وهراة وبلخ وأمدها بما تحتاج إليه من كتب وعيّن لها المدرسين والخدم وفتح أبوابها على مصرعيه لكل من أراد أن يطلب العلوم والمعارف، كما بذل لها العطايا الكريمة وأوقف عليها الأوقاف السخية، التي تكفيها على مر الأيام[٤٩].

ويذكر الرحالة ابن جبير أنه رأى ببغداد نحواً من ثلاثين مدرسة يقول: "إنه ما فيها مدرسة

٤٥- انظر: **من روائع حضارتنا**، ص ١٠٠.

٤٦- المرجع السابق، ص ١٠٠.

٤٧- أخرجه عبد الرزاق في **المصنف**، رقم: ١٩٧٦٨ وأصله في **مسند الإمام أحمد** برقم: ٢٦٤٤٩ و٢٦٤٥٠، تحقيق وإشراف: التركي، ورواه أيضًا الطبراني في **الكبير** وأورده الحافظ ابن حجر في ترجمة الشفاء هذه في **الإصابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٧، ص ١٢١.

٤٨- انظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، طبع الرباط، ١٣٨٣هـ ج ٤، ص ٣٤٩ والخشني، **طبقات علماء أفريقية**، طبع الجزائر، ١٣٢٢هـ، ص ١٣١، نقلا من: حسن أبو غدة، **دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي**.

٤٩- انظر: محمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٦هـ ج ١٩، ص ٩٤-٩٦. وابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ج ٩، ص ٦٤- ٦٨.

إلا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية التي بناها نظام الملك. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات واسعة للإنفاق على الفقهاء والمدرسين بها"(٥٠).

- ومنهم نور الدين محمود زنكى الملك العادل الذي استطاع أن يضم إلى سمعته الجهادية رعايته لشئون العلم والتعليم فقد بنى المدارس بحلب وحمص ودمشق وبعلبك وأكثر من الأوقاف وعمارة المساجد وفتح قلبه ومعاهده للعلماء والفقهاء(٥١)، يقول الرحالة ابن جبير: "إن من مناقب نورالدين محمود أنه عيّن للمغاربة الذين كانوا يلحقون بزاوية المالكية بالمسجد الجامع أوقافا كثيرة... وجعل أحد هؤلاء المغاربة مشرفًا على هذه الأوقاف"(٥٢).
- ومنهم صلاح الدين الأيوبي فقد تلقى غرس النهضة العلمية عن سلفه (نور الدين محمود) فشيد لأول مرة المدارس في مصر وأنفق بسخاء على العلم والتعليم ورعى العلم وأنشأ الكثير من المعاهد والمدارس وأوقف عليها الأوقاف السخية، يقول ابن جبير: "إن كل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة أو خانقاه يعين لها السلطان أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين بها"(٥٣).
- ومنهم القاضي أبو علي عبد الرحيم البيساني أسس "المدرسة الفاضلية بالقاهرة"(٥٤).
- ومنهم الظاهر بيبرس الذي أنشأ المدرسة الظاهرية في مصر سنة ٦٢٦هـ. وأوقف عليها المال وأغدق عليها مما جعلها أجمل مدرسة في مصر.
- ومنهم المنصور بن قلاوون الذي أنشأ المدرسة المنصورية في مصر سنة ٦٨٣هـ وتخصصت في تدريس الطب.
- ومنهم الملك منصور الذي أنشأ المدرسة الغياثية سنة ٨١٣هـ بمكة المكرمة وأوقف عليها أموالًا جليلة.
- ومنهم الملك المؤيد الذي أنشأ المدرسة المؤيدية بتعز(٥٥).

٥٠- **رحلة ابن جبير**، ص ٢٣٩ نقلًا عن خالد المشيقح، **الأوقاف في العصر الحديث، كيف نوجهها لدعم الجامعات وتنمية مواردها**، المنشور في موقع: www.almoshaiqeh.islamlight.net.

٥١- انظر : **سير أعلام النبلاء**، ج ٢٠، ص ٥٣١-٥٣٢، ٥٣٦.

٥٢- انظر: **رحلة ابن جبير**، ص ٢٨٥.

٥٣- المرجع السابق، ص ٥٨، ٢٧٥.

٥٤- يحيى الساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ص ٨٠.

٥٥- المرجع السابق ص ٧٩.

وهناك مدارس أخرى كثيرة موزعة في العالم الإسلامي في عواصمها ومدنها وقراها وكان في مدينة دمشق وحدها أكثر من أربعمائة مدرسة، وفي بيت المقدس أكثر من سبعين مدرسة. وإلى جانب الملوك والحكام كان التجار والأغنياء يتسابقون إلى بناء المدارس والوقوف عليها بسخاء، ولهذا كانت هذه المدارس والمعاهد من أحسن الأماكن مظهرا ورعاية، وكان فيها قاعات للمحاضرات وغرف للمدرسين وأماكن للمطالعة والراحة، وأجنحة لتناول الطعام وللطبخ، وفيها مخازن لادخار الأطعمة والمواد المختلفة(٥٦). حتى أن ابن جبير الرحالة هاله ما رأى في المشرق من كثرة المدارس والغلات الوافرة التي تغلها أوقافها، فدعا المغاربة إلى أن يرحلوا إلى المشرق لتلقي العلم(٥٧). ولم يقف أثر الوقف في التعليم عند علم بحد ذاته، بل شمل كل موضوعات المعرفة البشرية.

وكان التعليم في تلك المدارس لجميع أبناء الأمة مجانا دون تفرقة وكما أن الطلاب الوافدين من بلاد نائية توفر لهم غرف نوم ومكتبة وطعام ومطبخ وحمام إلى جانب مستشفى لعلاج المرضى منهم.

وهكذا كانت الأوقاف من أموال نقدية وعينية من العقارات والحوانيت والأراضي الزراعية والحمامات المؤجرة ونحوها من المرافق هي المورد الوحيد الذي ينفق منها على التعليم وعلى المؤسسات العلمية والثقافية التي حققت حضارة علمية لا نظير لها في بلاد الإسلام من دول المغرب العربي وبلاد السند والهند وبلاد مصر والشام وفارس وبلاد ماوراء النهر.

الوقف على التعليم الدنيوي النافع:

لم يقتصر أوقاف المسلمين على التعليم الديني والعلوم المساندة له كاللغة العربية فقط بل شملت العلوم الدنيوية النافعة كالطب والهندسة والفلك والصناعة ونحوها أيضًا حتى إن جهود المسلمين فيها هي أصل الحضارة الغربية اليوم، فقد ظلت أوروبا في العصور الوسطى في ظلام دامس في الوقت الذي كانت البلاد الإسلامية تعيش حياة علمية مزدهرة، يقودها أبناؤها بعقول فذة مصقولة بنور الكتاب والسنة وروحانيتهما، فسمت بذلك الحضارة إلى ذروة المجد والعلا.

وذلك لأن المسلمين يرون أن تعلم العلوم الدنيوية النافعة فرض كفاية على الأمة، قال النووي رحمه الله: "ومن فروض الكفاية ... الحرف والصنائع وما يتم به المعايش"(٥٨).

٥٦- انظر: **من روائع حضارتنا**، ص ١٠٠- ١٠١، و**الوقف في العالم الإسلامي**، ص ٣٨، ٤٢، ١٣٤.

٥٧- **رحلة ابن جبير**، ص ١٥-١٦.

٥٨- النووي، **منهاج الطالبين** (مطبوع مع **مغني المحتاج**) طبع مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج٤، ص٢١٠- ٢١٣.

وإنما وجب تعلم هذه العلوم لأن بها قوام حياة الناس وسلامة أبدانهم، وصلاح دنياهم، وبها يستعينون على أمور دينهم، قال الشربيني الخطيب رحمه الله: "لأن قيام الدنيا بهذه الأسباب، وقيام الدين يتوقف على أمر الدنيا، حتى لو امتنع الخلق منه أثموا، وكانوا ساعين إلى إهلاك أنفسهم"(٥٩).

بل قد يصبح تعلمها فرضا عينيا إذا احتاجوا إليها ولم يوجد فيهم من يعرفها قال الشافعي رحمه الله: "وهكذا كل ما كان الغرض فيه مقصودا به قصد الكفاية فيما ينوب. فإذا قام به من المسلمين من فيه الكفاية خرج من تخلف عنه من المأثم، ولو ضيّعوه معا خفت أن لا يخرج واحد منهم مطيق فيه من المآثم، بل لا أشك إن شاء الله"(٦٠).

من أجل هذا كله، اهتم المسلمون بالعلوم الدنيوية النافعة، ووقفوا أوقافا كثيرة لها، قال ابن كثير رحمه الله عن المدارس المستنصرية: "... جعل فيها إلى جنب العلوم الدينية شيخ طب وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب"(٦١) وكذلك المدرسة المسعودية ببغداد "... فقد وقفت على المذاهب الأربعة، ومعها تدريس الطب والعلوم"(٦٢).

بل قد أسست من أموال الوقف كليات الطب المتخصصة التي تجمع بين التعليم الطبي من الناحية النظرية والتطبيقية، فكانت المستشفيات الكبرى تتوفر على قاعات كبيرة للمحاضرات التي يلقي بها الأساتذة محاضراتهم، والطلبة معهم كتبهم وآلاتهم، وتجري المناقشات الطبية، ثم يصطحب الأستاذ تلامذته للمرور على المرض لمعالجتهم ولتمرين الطلاب على الحالات العملية(٦٣).

كما خصصت أوقاف لتأليف الكتب في الصيدلة والطب، واستطاع الأساتذة أن يكملوا كتبهم نتيجة لمثل هذا التعضيد العلمي من هذه الأموال الموقوفة، ومن أمثلة ذلك: كتاب **البيمارستان** لزاهد العلماء الفارقي، وكتاب **مقالة أمينة في الأدوية البيمارستانية** لابن التلميذ، وكتاب **صفات البيمارستان** للرازي في العلوم الطبية، فهذا الأخير أحد أهم الإنجازات التي تبحث عن مثل هذا التعضيد من قبل الواقفين، لقد استطاع هذا الدعم الوقفي أن يخرج للعالم علماء أعلاما كانوا المرجع في علم الطب، وإليهم

٥٩- **مغني المحتاج**، ج ٤، ص ٢١٣.

٦٠- الإمام الشافعي، **الرسالة**، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، المطبعة العلمية، بيروت، ص ٣٦٦.

٦١- الحافظ ابن كثير، **البداية والنهاية في التاريخ**، تحقيق: النجار، مكتبة السعادة، القاهرة، ج ١٣، ص ١٣٣- ١٣٤.

٦٢- محمد أحمد الصالح، **الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع**، الرياض، ص ١٨٣.

٦٣- انظر: **من روائع حضارتنا**، ص ١٠٩ وانظر: **الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع**، ص ١٩٧ وما بعدها.

المنتهى فيه، كالرازي الذي ألّف ٢٣٧ كتابا في الطب والفلسفة ومن أهمها: **الحاوي** في الطب... وابن سينا صاحب كتاب **القانون** وعلي بن عيسى طبيب العيون الذي ألف **تذكرة الكمالين** الذي وصف فيه ٣٠ مرضا من أمراض العيون، وابن جزلة صاحب كتاب **تقويم الأبدان** الذي ذكر فيه أمراض الحصبة والجديري وكيفية علاجهما، وابن زهر الذي وصف الحوادث السريرية والأمراض الباطنية(٦٤).

٣- الوقف على المكتبات:

من أهم مظاهر ومجالات الوقف تحبيس الكتب ووقفها على طلاب العلم والمدارس والمكتبات العامة لأن وقفية الكتب تعنى إشاعة العلم والمعرفة وتيسيرهما للراغبين فيه. فالمكتبات ذخيرة الأمة ومنبعها الفياض الذي يجب أن تنهل منه، وغذاؤها الذي يجب أن تقبل عليه، وهي دعامة الوجود والهوية وقاعدة لا يتم بناء الحاضر والإعداد للمستقبل إلا على أساسها، وهي كنز الأمة ورصيدها الفكري والمعرفي(٦٥). بل لا يمكن الحديث عن النهضة العلمية التي سادت الأقطار الإسلامية بمعزل عن الحديث عن المكتبات ودور الكتب التي كانت الوقود الذي يحرك عجلة العلم ويزودها بما تحتاج إليه من المراجع والمصادر في مختلف العلوم والتخصصات. ونظرًا لأهمية هذا الأمر فقد بدأ الاهتمام به من وقت مبكر وأسهم فيه أهل العلم والفضل حين ظهرت بيت الحكمة ببغداد في القرن الثاني وكان من بين أقسامها مكتبة حظيت بعناية مجموعة من الخلفاء العباسيين وبخاصة المأمون.

ثم انتشرت خزائن الكتب أو دار الكتب أو دار العلم أو بيت الحكمة في العالم الإسلامي بحيث يمكن القول بأنه قلما تخلو مدينة من مكتبة موقوفة، وبلغ من انتشار هذه الخزائن والمكتبات في الأندلس حتى إن أبا حيان التوحيدي كان يعيب على مشترى الكتب ويقول: "الله يرزقك عقلا تعيش به، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف"(٦٦). ولا يمكن سرد أسماء المكتبات الوقفية التي عمت أرجاء العالم الإسلامي لكثرتها ولكن نشير إلى أشهرها.

٦٤- انظر: راغب العثماني، **الإسلام دين ودنيا**، مكتبة الاعتدال، ص ٢٩٦. نقلًا عن بحث: عبد الرحيم محمد خيردم، "الوقف ودوره في تمويل المرافق الخدمية عند عجز الميزانية العامة للدولة"، المنشور ضمن بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٠هـ.

٦٥- www.sahab.net/forums

٦٦- يحيى الساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ، ص ٣٢.

ففي بلاد الحرمين الشريفين أسهم الخلفاء والملوك في تشييد المكتبات على مدى العصور المختلفة، لا يزال البعض منها قائمًا مثل مكتبة الحرم المكي الشريف وفي المدينة المنورة مكتبة الشيخ عارف حكمت والمكتبة المحمودية وغيرها.

ومن أشهر المكتبات الوقفية: المكتبة السليمانية في تركيا والمكتبة الظاهرية بدمشق ودار الحكمة بالقاهرة ودار الكتب بفيروز آباد بإيران ومكتبة الحكم بالأندلس. ودار العلم في الموصل ودار العلم في البصرة وخزانة الكتب في حلب ودار العلم في طرابلس ودار الكتب المصرية في القاهرة والمكتبة العامة بالرباط وخزانة المجلس العلمي بالدار البيضا ودار الكتب القطرية ومكتبة مركز ماجد للتراث بدبي ومكتبة دار العلوم (ديوبند) في الهند ومكتبة ندوة العلماء في لكهنو ومكتبة دار العلوم بكراتشي ومكتبة بير جهندا في السند وهي من أعرق المكتبات وأكثرها ثراء بالنوادرات، ومكتبة الجامعة العربية (البنورية) في كراتشي وغيرها من مكتبات العالم الزاخرة بالمخطوطات والمطبوعات.

هذا إلى جانب الجوامع التي يوجد فيها مكتبات موقوفة مثل جامع الإمام أبي حنيفة في بغداد، والجامع الأزهر في القاهرة، وجامع حلب، وجامع أصبهان، والجامع الأموي بدمشق، والجامع الظاهري بالقاهرة، وجامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع الرضوان في تعز، وجامع غرناطة بالأندلس.

كما أنشئت مكتبات بالمدارس والمعاهد الدينية الوقفية مثل: مكتبات المدرسة البيهقية بنيسابور، والمدرسة النظامية ببغداد والمدرسة العمرية بدمشق، والمدرسة النورية بحلب، والمدرسة الفاطمية بالقاهرة، والمدرسة الشهابية بالمدينة المنورة، ومدرسة أعظم شاه بمكة المكرمة، ومدرسة السلطان الأشرف بتعز باليمن ومدارس أخرى كثيرة انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي، مشرقه ومغربه، وكانت تشتمل على آلاف الكتب النفيسة في شتى العلوم والفنون والمعارف(٦٧).

هذا إلى جانب المكتبات الوقفية داخل المراكز الطبية والمستشفيات والزوايا والربط والخانقاهات والبيوت الخاصة.

والوقف على المكتبات شمل في معظم الحالات عمارتها وتوفير الكتب لها والإنفاق على العاملين فيها. كما شمل نسخ المخطوطات في عصر ما قبل الطباعة ورعايتها وحفظها وتنظيمها وتجهيزها، وزيادة عدد كتبها ومخطوطاتها والعناية بروادها ومرتاديها من طلاب وباحثين في كل ما يحتاجون إليه من أقلام

٦٧- انظر: المرجع السابق، ص ٧٧- ٩٢.

ومحابر وأوراق، بل إن بعض هذه المكتبات كانت تعطي لقرائها وروّادها أموالا ومنحا على سبيل الحافز، وتخصص لهم هدايا معنوية كثيرة، بل إن بعض الوقفيات قد وفرت الطعام والسكن إضافة إلى الناسخين مجانا لمن أراد استنساخ كتاب من المكتبة(٦٨).

وبهذا أسهمت المكتبات الوقفية في نشر العلم والبحث العلمي والازدهار المعرفي والتحقيق والتأليف وتحقيق الحضارة العلمية التي شهدها العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة.

٤- الوقف على المعلمين والمتعلمين:

ومما أسهم الوقف أيضًا، وبشكل ملحوظ، نشر العلم تعلمًا وتعليمًا وبحثًا وتحقيقًا وذلك من خلال تكفّله ورعايته للمعلمين في المدارس والجامعات مما جعل هؤلاء المعلمين يتمتعون بعيش كريم ويتفرغون لهذا العمل الشريف كما شجع الوقف المتعلمين على الانخراط في التعليم في المدارس والمعاهد من خلال تكفله بتأمين احتياجاتهم من سكن وطعام ولباس ومواد كتابية ومعالجة طبية إلى غير ذلك من الحاجات والضروريات، فالأوقاف وفرت للجميع موارد مالية كبيرة قد تعجز الدولة آنذاك عن توفيرها كما أن هذه الموارد كانت ثابتة إلى حد بعيد.

جاء في ترجمة نظام الملك أبو علي الحسن الطوسي: "... ورغب في العلم وأدرّ على الطلبة الصلات" و"بنى المدارس ووقف عليها الوقوف" "وكان محبًا لأهل العلم كثير الإحسان إليهم حتى إنه رتب للعلماء رواتب ثابتة تصرف لهم بانتظام، وكان يقوم بصرف مرتبات ثابتة لاثنى عشر ألف رجل من رجال العلم في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية(٦٩).

وأما الريع الذي كانت تنتجه الأوقاف المخصصة لنظامية بغداد فقد ورد أنه كان ١٥٠٠٠ دينار في العام الواحد، وكان ذلك الريع كافيا لمرتبات الشيوخ ولما يدفع للطلبة وكان يشمل مؤونة طعامهم وملابسهم وفرشهم وغير ذلك من ضرورات معاشهم حتى نبغ فيها جمع من الفقهاء الأفاضل ممن لا يحصون عددًا(٧٠). وكان الخليفة الفاطمي العزيز بالله يوقف مخصصات شهرية على علماء الأزهر.

٦٨- انظر: **المكتبة ودورها التربوي في مصر الفاطمية**، جامعة المتوفية، ١٤٠٤هـ، ص ١٧١، نقلا عن بحث محمد بن عبد الهادي الشيباني "أوقاف المدينة المنورة والنهضة العلمية في رحابها" المنشور ضمن بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف المنعقد برحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في ١٨-٢٠/ ٤/ ١٤٣٠هـ.

٦٩- انظر: سير **أعلام النبلاء**، ج ١٩، ص ٩٤-٩٦، وابن الجوزي، **المنتظم**، ج ٩، ص ٦٧، ٦٨. وانظر: www.islamtoday.net/articles

٧٠- انظر: محمد عبده، **الإسلام والنصرانية**، ص ٩٨ والألوسي، **تاريخ مساجد بغداد**، ص ١٠٢، نقلاً عن: http://www.55a.net/firas/arabic

وهكذا أدى الوقف دورًا رائدًا ومتميزًا في دعائم الحركة العلمية والثقافية في أنحاء العالم الإسلامي وكان السبب الرئيس لأغلب الإنجازات العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وحقق حضارة علمية شهدت بها الأعداء في وقت كان العالم يجتاحه الجهل والتخلف والظلام من جميع النواحي. في عهد هشام الثالث في الأندلس كتب جورج الثاني ملك إنجلترا والغال (فرنسا) والسويد والنرويج إلى هشام الثالث ما يأتي:

صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام.

بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يجتاحها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة "دوبانت" على رأس بعثة بنات الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف ولتكن مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من لدن اللواتي يستوفرن على تعليمهن، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص.

من خادمكم جورج(٧١)

ولا شك أن هذه النهضة العلمية والفكرية والحضارية في جميع المجالات، تحققت بعد فضل الله تعالى ثم بسبب إسهام الوقف ودعمه مما نتج عنه ظهور فئام من العلماء الأفذاذ في شتى فروع المعرفة مثل الخوارزمي وجابر بن حيان والرازي وابن الهيثم وابن سيناء وكذلك كبار المحدثين والفقهاء والمؤرخين واللغويين والنحاة والأدباء الذين نهضوا لتدوين وتأليف الكتب والموسوعات العلمية في التفسير والحديث والفقه والأدب واللغة والطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات وغيرها من العلوم والمعارف وتركوا ثروة علمية ضخمة للأجيال القادمة.

وبهذا أسهم الوقف في رقي الأمة وتقدمها وازدهارها وسعي نحو تقوية مسيرتها ووفر الإمكانيات والطاقات لكي تمارس الأمة شهودها الحضاري.

المبحث الثالث: مجالات وطرق إحياء الوقف العلمي في العصر الحاضر:

الوقف الإسلامي كما كان له دوره الريادي في النهوض بالازدهار العلمي والتقدم المعرفي في الزمن الغابر فإنه يمكن أن يؤدي دورًا بارزًا في الوقت الحاضر بعد أن اتسعت مجالاته بتطور المجتمع

٧١- ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج ١، وسيرجون دوان بورت، "العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى"، انظر موقع: www.ebnmaryam.com

وتعددت مرافقه ومؤسساته، وفيما يلي نجمل أهم الطرق والأساليب والمجالات الوقفية المعاصرة التي ينبغي التفاعل معها للارتقاء بالفكر الإنساني والمعرفة البشرية علما ومعرفة وثقافة وحضارة وإبداعا من أجل تقدم الأمة ورقيها وازدهارها إن شاء الله.

١- بناء المساجد وإعادة دورها العلمي:

انحصر دور المساجد الآن ـ في معظم العالم الإسلامي ـ على الصلاة والعبادة فقط. ولم يكن دورها في صدر الإسلام وبعد ذلك بقرون مقصورًا على العبادة فقط بل كانت المساجد منارات علم ومشاعل هداية ونور ومراكز علم وتعليم وفقه وتفقيه وقضاء وإفتاء. ومراكز الدعوة إلى الله تعالى والتربية والتزكية ومدارسة العلم وتحفيظ القرآن يشع منها النور والهدى والخير. وكان للمسجد أوقاف تقوم بحاجاته وروّاده وطلابه وما يحتاجون إليه من أدوات العلم والكتب والسكن والحاجات الأساسية الأخرى.

جاء في بعض الروايات أن عدد المساجد التي بنيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة مساجد وأن أكثرها اتخذ مدراس للتعليم(٧٢). وجيل الصحابة لم يعرف محضنا للتربية ولا مكانا للتعليم إلا المسجد فهو الذي نشأهم على هذا العلم ورباهم هذه التربية(٧٣). وبعد ذلك أصبحت المساجد في بلاد المسلمين بمثابة جامعات علمية ومراكز حضارية يدور حولها فلك المدينة، وهذا جامع عمرو بن العاص مثلًا كان به بضع وأربعون حلقة علمية(٧٤). ومثله جامع المنصور ببغداد الذي كان مقصدًا لأنظار الأساتذة والطلاب وهو أقدم مسجد ببغداد وأشهر مركز للتعليم في ذلك الوقت(٧٥).

لقد تخرجت من أروقة المسجد وتحت أعمدته أجيال استطاعوا بفضل الله أن يكوّنوا أكبر دولة وأعظم حضارة عرفتها الإنسانية، ولم يكن هذا بقوة سيف أو نفوذ سلطان وإنما بعقيدة راسخة ونهضة عملية نشأت من المسجد.

٧٢- **صحيفة همام بن منبه**، تحقيق: محمد حميد الله، ص٦ نقلًا عن: زيد بن عبد الكريم الزيد، "وظيفة المسجد في المجتمع" **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد ١١، محرم ١٤١١هـ، ص ٣٧، وروى الدار قطني أوله في **سننه**، ج ٢، ص ٨٥.

٧٣- "وظيفة المسجد في المجتمع"، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، ص ٣٧.

٧٤- انظر: المرجع السابق.

٧٥- انظر: عبد الله الوشلي، بحث "المسجد ودوره التعليمي"، المنشور في **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد ١١، محرم ١٤١١هـ، ص ٥٠.

ورغم قيام المؤسسات العلمية لوظيفتها مستقلة عن المسجد لا يزال للمسجد وظيفة تعليمية مهمة إذ لا يمكن لهذه المؤسسات استيعاب جميع راغبي العلم والمعرفة وكذلك كبار السن الذين لا يتمكنون من الالتحاق بالمدارس والجامعات النظامية لظروفهم الخاصة كما أن هذه المؤسسات لا يمكن أن تنقل معها روحانية التعليم بالعبادة(٧٦). لذلك لا بد من التكامل بين المسجد والمدرسة في التربية والتعليم حتى يحصل لكل فرد من أفراد المجتمع فرص التعليم ويتحقق الجمع بين الأصالة والمعاصرة ويمكن للمسجد أداء وظيفته التعليمية في كل علم لا يتوفر في المدارس. وإذا أريد تحقيق الازدهار العلمي والتقدم المعرفي فلا بد من أن يعاد للمسجد دوره العلمي كما كان سائدًا في العصور الأولى بعقد دروس العلم والمعرفة في جميع المجالات إلى جانب حلق المواعظ والرقائق ونحوها(٧٧).

٢- إنشاء جامعات وكليات شرعية وعلمية ومعاهد صناعية وفنية من أموال الوقف:

تهتم بتخريج كوادر علمية ماهرة قادرة على التعامل و استخدام التكنولوجيا الحديثة في المجالات وتهتم بالتعليم الفني والتقني وتمويل مراكز البحث العلمي وتطويرها بما يعود بالخير والنفع على المجتمع مع تخفيف الوطأة على الدولة وميزانيتها العمومية.

وفي واقعنا المعاصر، فإن بناء الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) لهو نموذج رائع لإسهام الوقف في تنمية التعليم بإنشاء مراكز التعليم من أموال الوقف، فقد تم إنشاء هذه الجامعة بأموال وقفية أسهمت بها الأميرة فاطمة بنت الخديوي إسماعيل فوقفت عليها ٦٦١ فدانا من أجود أطيافها، ووقفت أرض الجامعة ومساحتها ستة أفدان قرب قصرها ببولاق، كما تبرعت بمجوهراتها وحليها التي وصلت إلى ١٨ ألف جنيه لينفق ثمنها في إقامة مبنى الجامعة وكذا أنشئت جامعة بيروت العربية، وكلية الإمام الأوزاعي من أموال الوقف.

ونظرا لأن التعليم غدا اليوم مكلفا ـ وخاصة التعليم الجامعي ـ وباتت نفقاته في تزايد وتنام مستمر، وأصبح مرهقا لولي الأمر أن يتابع تعليم أبنائه، على حساب لقمة العيش، إضافة إلى أن الطاقة الاستيعابية للطلاب في المدارس أو الجامعات الحكومية المجانية في عدد من الدول باتت محدودة، فإن الحل العملي للقضاء على هذه الظاهرة هو إنشاء الوقف التعليمي الذي يتولى إقامة المدارس الوقفية وفتح الجامعات والمعاهد العلمية ومجانية التعليم فيها وفتح الباب على مصراعيه لطالبي العلم والمعرفة دون قيد أو شرط.

٧٦- بحث "وظيفة المسجد في المجتمع"، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد ١١، ص ٤٠.

٧٧- محمد بن عبد الله الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، طبع وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٠٣هـ، ص ٣٢٨.

إن المنح والوقفيات هي المصدر الرئيس لتمويل أعرق الجامعات في العالم، وتمويل مراكز البحث العلمي، وإنشاء المدارس والمستشفيات، وتنظيم برامج للتوعية ومساعدة الفئات الأقل خطأ... في الدول المتقدمة يفعلون ما كان يفعله أسلافنا في الماضي حين كان الوقف الخيري أحد محركات النهضة والتقدم العلمي والتعزيز المعرفي. "إن الأوربيين قد تأثروا بمفهوم الوقف الإسلامي وتمثلوا به وفق ما يفرضه واقعهم فأوجدوا نظام الترست "Trust" على غرار الوقف الإسلامي فشاع عندهم إيقاف المكتبات والمدارس ودور الرعاية الاجتماعية. وأنشئت مؤسسات تعليمية عريقة وفق هذا النظام حتى إن الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا لها أملاك واسعة وعقارات في أفضل المواقع ومؤسسات تعليمية وصحية وغيرها. وقد بلغ عدد المؤسسات التطوعية في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ٣٢ ألف مؤسسة قبل سنوات وقدرت ممتلكاتها بما يزيد على ١٣٧ مليار دولار، وبلغ مجموع تبرعات الأفراد والمؤسسات في ذلك الوقت ١١٥ مليون دولار[٧٨].

هذه بضاعتنا وتراثنا وحضارتنا ونحن أولى به ويجب أن نعتز به ونتمثل به ونتبناه ونعمل على تنميته وتلقينه لأبنائنا لتحقيق النهضة والانطلاق نحو البناء والتقدم والشهود الحضاري.

٣- دعم المعاهد والمدارس الأهلية المؤسسة لتدريس العلوم الشرعية من أموال الوقف:

إن قوام هذه الأمة وصلاحها وإصلاح حالها ومصدر عزها هو التمسك بالكتاب والسنة علمًا وعملًا، لا الانبهار بحضارة الغرب الملحدة ومحاكاة ثقافتها المفسدة واللهث وراء سرابها الخداع.

والعلم قبل العمل، وعلم الكتاب والسنة والفهم فيهما إنما يتأتى ـ بعد موهبة الله تعالى ـ بتحصيل العلوم الشرعية. وبما أن نصيب العلوم الشرعية في مناهج التعليم في كثير من البلاد الإسلامية ضئيل ولا سيما بعد ما بُدِّلت مناهج التعليم الإسلامية بالمناهج الغربية التي يُراد منها: إضعاف القيم والأخلاق الإسلامية، فهذه المناهج والمواد الشرعية القليلة المهلهلة لا يحصل بدراستها ـ على أحسن تقدير ـ إلا الإلمام الضعيف لا الإتقان الحصيف، لهذا قام العلماء الغيورون المخلصون بإنشاء المدارس الأهلية لتدريس العلوم الشرعية والحفاظ على الهوية الإسلامية، وهذه المدارس منتشرة في دول شبه القارة الهندية[٧٩] وبعض الدول الأفريقية، وليس لها أي دعم حكومي وإمكاناتها المادية ضئيلة جدا، إنما أسست بجهد المقلين وتبرعات أهل الخير الزهيدة فهي جديرة بالدعم من الأوقاف لأنها تضطلع بمهمة سامية، غفل

٧٨- انظر: إطلالة زيد بن عبدالمحسن الحسين في **مجلة الفيصل**، العدد ٢٥٧، ذو القعدة ١٤١٨هـ.

٧٩- توجد في باكستان وحدها أكثر من أربعة آلاف مدرسة وجامعة شرعية أهلية.

عنها كثير من الناس وهي الحفاظ على العلوم الشرعية من اندراسها. ودعم هذه المدارس واجب ديني ومن أهم المهمات وأعظم القربات لتمكينها من القيام بمهمتها السامية من الحفاظ على علوم الكتاب والسنة.

٤- **تخصيص أموال من الوقف للمسابقات والجوائز العلمية:**

لا شك أن الحوافز والجوائز لها دور كبير في الإقبال على العلم والنبوغ فيه كالجوائز على استظهار القرآن الكريم وحسن تلاوته أو حفظ قدر كبير من الأحاديث النبوية بنصها وفصها، أو التحقيق العلمي وخدمة التراث المخطوط تحقيقًا ونشرًا أو الابتكار العلمي أو الاختراع التقني أو الاكتشاف العلمي وإضافة علمية جديدة لم تكن معلومة قبل أو النبوغ في ضروب العلم وأنواع المعرفة وما إلى ذلك من خدمة العلم والمعرفة أو خدمة الدين أو خدمة الإنسانية بصورة عامة بالعناية البالغة والتضحية الشاملة وبذل النفس والنفيس في ذلك والنهوض بها إلى المستوى اللائق بها.

وبهذا تكون سوق العلم نافقة، وألوية العلم ناشرة، والإقبال على العلم والحرص عليه شديدًا، لأن الجوائز والعطيات السنية تنشط الهمم الخاملة والنيات الفاترة على الجد في طلب العلم والنبوغ فيه طمعاً في نيل تلك الجوائز السنية والعطيات الكريمة.

ومن الأمثلة الرائعة على التقدير العلمي بالجائزة العلمية والعطية السنية:

أ- ما رواه البيهقي بسنده عن سالم بن أبي الجعد "أن عليًا رضي الله عنه فرض لمن قرأ القرآن ألفين ألفين"(٨٠). تقديرًا لعنايته البالغة واهتمامه الأكيد بالقرآن الكريم.

ب- ومنها: أريحية ملك الشام المعظم بن الملك العادل (٥٧٦-٦٢٤هـ) كان قد جعل لمن عرض **المفصَّل** للزمخشري في النحو مائة دينار ولمن عرض **الجامع الكبير** للإمام محمد مائتي دينار(٨١).

ومن الجوائز المعروفة للنبوغ العلمي أو الابتكار التقني أو خدمة في فرع من فروع المعرفة أو حسن تلاوة كتاب الله تعالى وحفظه: جائزة الملك فيصل العالمية وجائزة مسابقة القرآن الكريم الدولية وجائزة دبي الدولية لحسن التلاوة وجائزة الشيخ حمدان بن راشد للعلوم الطبية، وجائزة الأمير نايف في مجال السنة النبوية. وفي الغرب "جائزة نوبل" التي تمنح على نبوغ في فرع من فروع المعرفة.

٨٠- أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، دار الباز، مكة المكركة، ج ٢، ص ٥٥٦، برقم: ٢٧٠٥.

٨١- نص كلام الذهبي في ترجمة: المعظم السلطان الملك المعظم بن العادل "... قد جعل لمن عرض **المفصل** مائة دينار صورية، ولمن عرض **الجامع الكبير** مائتي دينار" وصورية نسبة إلى مدينة صور من مدن الشام، وقوله: قد جعل لمن عرض إلخ: لعله يعني حفظ الكتاب المذكور أو استيعابه علمًا وفهمًا. انظر: محمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، رقم الترجمة: ٥٧٢٠٠.

٥- **طبع الكتب العلمية والشرعية والثقافية النافعة:**

ولا سيما أمهات المراجع التراثية وتوزيعها على الباحثين وطلبة العلم والمحتاجين لتحقيق الوعي الديني والثقافي والتنمية المعرفية، وللإعانة على البحث والدراسة والتحقيق والتحصيل العلمي كما تفعله بعض الجهات الوقفية ـ الرسمية وغير الرسمية ـ في دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ودولة قطر وغيرها. والمطلوب: الإكثار من هذا النشاط من أجل نشر المعرفة وازدهارها في شتى المجالات.

٦- **نشر ثقافة "الحقيبة المدرسية" المجانية:**

وتوزيعها على الطلاب ولا سيما غير الميسورين منهم المشتملة على الكتب والدفاتر والأقلام وغيرها من المستلزمات وتوزيعها في المدن والأماكن النائية من القرى والبوادي وترغيبهم في التحصيل العلمي وتحفيزهم ماديا حتى يلتحقوا بالمدارس والمراكز التعليمية فيتحقق نشر المعرفة وتنهض المجتمعات وتتقدم وتزدهر.

٧- **إنشاء كراسي ومراكز علمية في الجامعات بالوقف الخيري:**

من الموسرين ورجال الأعمال لدعم العملية التعليمية والبحثية مثل: كرسي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان للدراسات التقنية، وكرسي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مجال العلوم البيئية، وكرسي الشيخ زايد في جامعة كامبريدج للدراسات الإسلامية وكرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز لأبحاث الإسكان التنموي، وكرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة وكرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري. ومركز الشيخ زايد للدراسات الإسلامية في جامعة كراتشي وجامعة البنجاب وجامعة بشاور وغيرها، والمطلوب الإكثار من هذه الكراسي والمراكز وترغيب أهل الثروة والمال والسلطان في الاستزادة من إنشاء هذه الكراسي لدعم التقدم المعرفي وتعزيز العملية التعليمية في شتى المجالات.

٨- **إنشاء مراكز الحاسب الآلي:**

يعد الحاسب الآلي اليوم واحدا من أهم الوسائل التكنولوجية المعاصرة في عملية التوثيق وحفظ المعلومات، وإنشاء قواعد جمع البيانات والإحصاء، والتواصل العلمي والبحثي عن طريق الشبكة العنكبوتية (الانترنت) ومن نافلة القول أن توظيف الحاسب الآلي في خدمة العلوم والمعارف غدا بابا مهما من أوليات الحضارة المعاصرة فأصبح استخدامه مألوفا في خدمة العلوم الشرعية والعلوم الانسانية والاجتماعية والتجربية والتطبيقية.

وهذا ما يدعونا إلى تفعيل دور الوقف إيجابيا في هذا المجال، من خلال إنشاء مراكز وقفية متخصصة في الحاسب الآلي وتطويرها فنيا ودعمها ماديا وتفعيلها بما يخدم المشاريع البحثية والتنموية والدعوية، وتعزيز خدماتها على المستوى الإنساني والإسلامي بحيث يعد رافدا حيويا تستفيد منه البشرية على اختلاف أنواعها، إذا الأصل في خصائص الشريعة الإسلامية: صلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان وشموليتها، ومقتضى هذه الشمولية أن تلبي مقتضيات كل عصر على اختلاف متطلباته واحتياجاته(٨٢).

٩- إنشاء محطات تلفزيونية تعليمية وإقامة محطات إذاعية وقنوات فضائية عن طريق طرح أسهم على المسلمين القادرين:

تعمل على نشر الوعي الديني والعلمي والمعرفي والثقافي على أسس من الموضوعية وتتبنى مناهج تعبر عن فكرنا وقيمنا وحضارتنا وتعمل بلغات شتى ليعم نفعها أرجاء العالم.

١٠- إنشاء صندوق خاص بالمبدعين والموهوبين:

الإبداع والعبقرية والذكاء هبة من الله تعالى، يهبها من يشاء من عباده، وهذه الهبة لا تعرف لونا ولا جنسا ولا بلدا، والأمة الإسلامية تحوي الكبير من هذه النخبة المميزة، ولا شك إنها مصدر ثروة نفيسة لا تثمن وطاقة خير عظيمة للأمة جميعا(٨٣).

لقد عرفت خلال زياراتي المتعددة إلى كندا وأمريكا وجود مدارس حكومية وخاصة للمبدعين، تهتم بهذه الفئة المبدعة اهتماما فريدا بحيث تؤهلها للقيادة في مجالات إبداعها ودعمها حتى تحقق لبلادها الإبداع والابتكار، على سبيل المثال مؤسسة Bills Melina Gates Foundation التي تعتبر أكبر وقفية في العالم برأسمال قدر بنحو ٢٨ مليار دولار في عام ٢٠٠٥م... فهي تهدف إلى رعاية الطلبة في أمريكا ومساعدة الموهوبين خاصة منهم.

ونحن أحق وأولى بتحقيق هذا الهدف، والسعي لهذا الطموح من خلال إنشاء صندوق خاص من الوقف لهذه الفئة يتولى شئونها ويهتم بها ويقدم لها من مزايا وخصائص تشجع على الابتكار والإبداع والازدهار.

٨٢- انظر: بحث عدنان بن عبد الرزاق الحموي بعنوان: "دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي" المنشور ضمن بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٣٠هـ.

٨٣- انظر: المرجع السابق.

١١- كفالة الطلاب المتميزين والجادين والإنفاق عليهم من مال الوقف:

وكذلك ابتعاثهم إلى الخارج للحصول على التخصصات العلمية النادرة التي تحتاج إليها الأمة، فقد ذكر الإمام السبكي(٨٤) خبر الإمام الغزالي وأخيه أحمد أن والدهما أوصى بهما لوصي صالح بما لديه من مال لرعايته وأخيه، لكن المال نفد لقلته، فالتجآ إلى مدرسة وقفية التي ضمنت لهما متابعة العلم وتحصيله، وكان لهذه المدرسة الوقفية الفضل ـ بعد الله ـ في نبوغ الإمام الغزالي وتفوقه وإمامته.

١٢- الوقف على البحث العلمي بإنشاء مؤسسات مختصة بالبحث العلمي:

وكذلك رعاية مراكز البحث العلمي القائمة، وذلك عن طريق تشجيع البحث العلمي والاهتمام بالباحثين، والإنفاق عليهم، ورفع مستواهم المعيشي، لأن البحث العلمي هو أساس المعرفة وقوامها، لهذا فإن الدول المتقدمة تضع في اعتبارها هذا الاهتمام وتخصص له الميزانيات الهائلة مما يعطي المؤشر الهام لأهميته.

إذا: المطلوب هو تنشيط ظاهرة الاهتمام بالبحث العلمي وتعميم انتشارها في العالم الإسلامي والمتابعة التامة لها لتحقيق المعرفة وتقدم المجتمعات وازدهارها.

١٣- العمل على إقامة المؤتمرات والسمينارات والمنتديات والندوات العلمية والفكرية والثقافية، والإكثار منها لكي تسهم في بث الوعي، وتحصّن الشباب من الشبهات الفكرية، وتحقق لهم مزيدا من المعرفة، وتقدم الحلول الناجعة عن المشكلات التي يعانون منها.

١٤- إصدار المجلات العلمية بأنواعها في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه وأصوله والعلوم الاجتماعية المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة، والعلوم التجربية المتعلقة بالطب والفيزياء والكيميا والأحياء والجيولوجيا، والعلوم التطبيقية المتعلقة بالهندسة والرياضيات والإدارة والإحصاء... إلخ من مال الوقف وتوزيعها وتيسير الحصول عليها للباحثين وغيرهم.

١٥- إنشاء مطابع ودور نشر، والترغيب في طباعة الكتب المفيدة التي تتضمن عصارة جهد العلماء والمفكرين والمبدعين ورجال العلم، وكذا نشر وتوزيع الرسائل العلمية والبحوث، والدراسات الهادفة التي نوقشت في الجامعات والمؤتمرات والندوات، وكذلك ترجمتها إلى اللغات الأخرى وتوزيعها مجانا أو بأسعار رمزية.

٨٤- الإمام السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، طبع مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ج ٦، ص ١٩٣.

١٦- **إنشاء مكتبات وقفية تساهم في المطالعة والمعرفة ونشر العلم والبحث والتحقيق** والتأليف وإثراء العلم وازدهار الثقافة، فينتشر نور العلم في جميع بقاع الأرض ويقضى على الجهل والظلام. وكان المدن الإسلامية تزخز بمثل هذه المكتبات، وكان قلما تخلو مدينة منها في العصور الأولى.

والزائر لمدن الغرب الآن يرى انتشار المكتبات العامة والخاصة في المدن والقرى وحركة علمية متواصلة والحرص الشديد على الاستفادة من الوقت في القراءة والمطالعة حتى إنك لا تكاد تجد رجلا في النقل العام أو المحطات أو المواقف إلا بيده كتاب يقرأه بنهم.

فلا بد لتحقيق التقدم المعرفي والازدهار العلمي من الاهتمام بإنشاء هذه المكتبات والعمل على انتشارها في المدن والقرى وتزويدها بالكتب والمراجع في مختلف العلوم والفنون تحقيقا للتنمية المعرفية في عامة الناس.

١٧- **الوقف للشريط الإسلامي** وأشرطة الفيديو والكاسيت وأقراص الكبميوتر وتوزيعها مجانا أو بيعها بأسعار رمزية لنشر الثقافة الإسلامية والمعارف الإنسانية النافعة والقيم الأخلاقية الفاضلة.

١٨- **إنشاء موقع على شبكة المعلومات "الانترنت" يحتوي على دروس علمية** وثقافية ومحاضرات نافعة عن أهل الاختصاص في شتى المجالات ومختلف التخصصات، ويقوم كذلك ببيان حقائق الإسلام ومحاسنه وفضائله ومزاياه وتصحيح العقائد والمفاهيم ورد الشبهات والأباطيل ومقاومة المد الإلحادي والصليبي والصهيوني الذي يشوّه الإسلام ويسيء إلى المسلمين.

١٩- **الوقف لإيجاد المنح الدراسية لدراسة العلوم الشرعية** والتجربية والاجتماعية وغيرها لأبناء البلاد الفقيرة ولأبناء البلاد المنكوبة والمحتلة كفلسطين والشيشان والبوسنة وأفغانستان وغيرها، وكذا لأبناء المسلمين في البلاد الكافرة وذلك امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٨٥] وذلك عن طريق مؤسسات خيرية وبضوابط تشجيعية وضمانات تحفيزية، وإن وجدت في الواقع نماذج مشرقة لمثل هذه المؤسسات الخيرية كمؤسسة الشيخ زايد للأعمال الإنسانية والخيرية في أبوظبي، ومؤسسة الشيخ محمد بن راشد للأعمال الخيرية في دبي، ومعهد آل مكتوم للدراسات الإسلامية في بريطانيا ومؤسسة آل البيت في الأردن وغيرها ولكن المطلوب تعميم هذه النماذج الخيرية على مستوى العالم الإسلامي وتحفيزها ودعمها ماديا وإداريا وإعلاميا واجتماعيا، وتوفير الحماية والغطاء القانوني لها حتى تسهم في خدمة المجتمع بشكل إيجابي.

٨٥- سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

٢٠- **إقامة المؤسسات الإعلامية والثقافية بكافة** أنواعها المرئية والمسموعة والمقروءة من إذاعات وقنوات وصحف ومجلات لما لها من أثر بالغ الأهمية في تثقيف الشباب وتهذيبهم ـ وأيضًا ـ في تبليغ الدعوة والذود عن حياض الدين، وتعد الشبكة العنكبوتية "الانترنت" اليوم واحدة من أهم هذه الوسائل الإعلامية والثقافية التي يستخدمها في الوقت الراهن أكثر من ألف مليون (مليار) مستخدم في العالم وتقوم بدور مهم في نشر الفكر والثقافة وتغطية الأحداث والقضايا الإسلامية المختلفة فلا بد من دعمها ومساندتها ماديا ومعنويا لكي تستطيع القيام بدورها الريادي في هذه المجالات وغيرها.

٢١- **وقف الدور والأراضي لتكون مقرا لمدارس تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية** وكذا الوقف على رواتب القائمين عليها وما تحتاج إليه من صيانة ووسائل ومستلزمات. وكذا الوقف على الدعاة إلى الله تعالى وعلى إعدادهم وتأهيلهم وتهيئة مكاتب توعية الجاليات ومراكز الدعوة ومكاتبها، ولإقامة مراكز للمهتدين الجدد ورعايتهم والعناية بهم(٨٦).

٢٢- **الوقف على طلاب العلم من بناء مساكن وتوفير مستلزمات الإقامة** والعيش الكريم، فإن كثيراً منهم في بعض البلدان يعيش في البؤس والفقر والمعيشة الضنك وسوء الحال يلتحف السماء ويفترش الأرض في عراء ولا يجد أبسط ضروريات الحياة من طعام وماء ولباس وعلاج وضرورات أخرى.

ولريع الأوقاف دور كبير في تخفيف ويلاتهم وحسن مواساتهم وانتشالهم من هوَّة الفقر والعوز.

بل إن كثيرًا من طلبة العلم في بعض المناطق النائية في أفريقيا وغيرها عندهم عوز في الماء ويجلبونه على الحمير والبغال من مناطق بعيدة فيمكن حفر الآبار وبناء السقايات وتوصيل الماء إليهم، وقد ورد في فضل هذا أحاديث عدة منها:

أ- ما روى البيهقي بسنده: "أن سعد بن عبادة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال نعم، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء"(٨٧).

ب- وروى ـ أيضًا ـ عن كدير الضبي قال: "أتى أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: نبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار! قال: تقول العدل وتعطى الفضل، قال: هذا شديد لا أستطيع أن أقول العدل كل ساعة، ولا أن أعطي فضل مالي، قال: فأطعم الطعام وافش السلام، قال: وهذا شديد والله!، قال: هل لك إبل؟ قال: نعم، قال: انظر بعيراً من إبلك وسقاء فاسقِ أهل

٨٦- انظر: **مجلة الدعوة السعودية**، العدد ١٨٣٥، محرم ١٤٢٣هـ.

٨٧- رواه البيهقي في **الجامع لشعب الإيمان**، ج ٣، ص ٢٢١، رقم: ٣٣٧٩.

بيت لا يشربون الماء إلا غبًا[٨٨]. فلعلك أن لا يهلك بعيرك ولا أن ينخرق سقاؤك حتى تجب لك الجنة، قال: فانطلق يكبر، ثم إنه بعد استشهد"[٨٩].

ج- وروى عن شيخه أبي عبدالله الحاكم بسنده عن عبدالله بن المبارك وسأله رجل يا أبا عبدالرحمن! قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج وسألت الأطباء فلم أنتفع به قال: اذهب فانظر موضعا يحتاج الناس إلى الماء فاحفر هناك بئراً فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرئ[٩٠].

٢٣- إنشاء منظمة إسلامية من أموال الوقف: مهمتها التعريف بالوقف وأهميته ومجالاته الواسعة وتطويره وحسن استغلاله واستنمائه وتكثير موارده، وتعميم نفعه، وتبادل الخبرات، وتناول المعلومات، وعقد اللقاءات، ومتابعة النشاطات بين القائمين على المؤسسات الوقفية، وكذلك بث الوعي بين الأثرياء وعامة الناس لفكرة العودة إلى الوقف وحثهم على التنافس فيه مع بيان غاياته النبيلة وأهدافه الكريمة ومصالحه الكثيرة التي تعود منه على المجتمع الإسلامي في كافة مجالاته مثل القضاء على ظاهرة الفقر، وفرص العمل للباحثين عن العمل، واستغلال الطاقات البشرية في العمل والإنتاج، وكذلك إرساء دعائم الحركة العلمية والثقافية في أنحاء العالم الإسلامي.

هذه بعض مجالات وطرق الوقف المعاصرة في الميدان العلمي وتعزيز التقدم المعرفي ولن يعدم الحيلة من عزم على وقف أن يجد له مصرفاً نافعاً محتاجاً إليه فإعانة طالب العلم ومساعدة المحتاج ونشر العلم وتعليم الأخرق مهنة ينتفع بها كلها وجوه بر وإحسان جاءت الشريعة باعتبارها والترغيب فيها.

ولكن يحسن بالواقف أن يبحث عما يحتاج الناس إليه أكثر وغفل عنه غيره. فإنه كلما كانت الحاجة أكبر كان الأجر أعظم عند الله سبحانه.

أهم معالم البحث وتوصياته:

لتفعيل دور الوقف وإحيائه في المجال العلمي وتعزيز التقدم المعرفي نؤكد على الأمور الآتية:

١- تأصيل مفهوم الوقف ومكانته في الشريعة الإسلامية وتوعية المجتمع بأهميته والتشجيع على إحياء هذه السنة المباركة من خلال صيغ جديدة للوقف تتناسب مع متطلبات العصر.

٨٨- أي يشربون الماء يومًا ويتعطشون يومًا لقلة الماء، انظر: محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ، ص ٤٦٧.

٨٩- رواه البيهقي في **شعب الإيمان**، ج ٣، ص ٢١٩، رقم: ٣٣٧٤.

٩٠- المرجع السابق، ص ٢٢١، رقم: ٣٣٨١.

٢- إيجاد خطة إعلامية لنشر وإذكاء الوعي بين أفراد المجتمع لا سيما الموسرين وتعريفهم بأن الوقف على التعليم قربة إلى الله تعالى ومن الصدقة الجارية.

٣- إظهار الدور الرائد الذي أسهم به الوقف في الماضي في تطور وتقدم المجتمع الإسلامي بعامة وفي مجال التعليم بخاصة.

٤- توظيف الوقف للاهتمام بالبحث العلمي في جميع مجالاته، واهتمام ورعاية المبدعين والموهوبين والنابغين، وتقديم المنح المالية والجوائز السخية لهم.

٥- ضرورة الاهتمام بإنشاء المدارس والجامعات الوقفية وإقامة المكتبات الوقفية وإنشاء المجلات الإسلامية، وطبع الكتب العلمية والثقافية، وإنشاء كراسي علمية، ورعاية المسابقات الثقافية والعلمية، وابتعاث الطلاب المتميزين إلى الخارج للحصول على التخصصات النادرة، وتمويل الأقمار الصناعية، ومحطات إذاعية، وقنوات فضائية، والإكثار من المؤتمرات والسيمينارات والندوات العلمية.

٦- ضرورة الاهتمام بمشاريع إنشائية كبناء المدارس أو تجهيزية كالوسائل والأثاث، وكذلك بناء المساكن للطلاب والمدرسين والمشتغلين في البحث والتحقيق والدراسات النافعة.

٧- إيجاد جهة ملحقة بإدارة التعليم تقوم على تفعيل دور الوقف في العملية التعليمية وتتولى استقبال الأموال الوقفية وصرفها على ما تحتاج إليه العملية التعليمية.

وهذا آخر التوصيات وهو مسك الختام، والله المسئول في تحقيق الأماني وبلوغ المرام، والحمد لله في البدء والاختتام، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف الأنام، وعلى آله وصبحه الكرام.

Spheres and Avenues of Reviving Waqf for Education in the Present Times.

This paper revisits the vital role of waqf in the socio-economic and educational life of the Muslim society. Tracing the origins of this institution in the twin sources of Qur'ɳ and the Sunnah, the writer surveys its growth and expansion through history. He also cites the most reputed institutions of waqf that flourished in the past and left their fruitful impact on the Muslim culture and Society. The writer provides historical evidence for the genesis of this institution in the Prophet's era and shows its historical continuity ever since. The self-sufficiency and independence of the educational establishment was insured by the support provided to the institutions of education through waqf, the author concludes. At the end of the paper, some practical steps have been proposed to revive this institution in the present times.

****